خطبة صلاة الجمعة 4/ 12/ 2020 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(هدي رسول الله ﷺ في الدعوة إلى الله)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: 7].

وقال سبحانه: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: 31].

وَقالَ تعَالَى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى:52].

أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: «كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب يقول: **«أما بعدُ، فإن خيرَ الحديث كتابُ الله، وخيرُ الهدْي هدْيُ محمد، وشرُّ الأمورِ مُحْدَثاتُها، وكلُّ بدْعةٍ ضلالة»**.

قال النووي في شرح مسلم: (قوله "خير الهدي هدي محمد" جاءت الرواية بوجهين؛ الأول: بفتح الهاء وإسكان الدال، ومعناه الطريقة، أي أحسن الطرق طريق محمد، يقال فلان حسن الهدي أي الطريقة والمذهب، والثاني: بضم الهاء وفتح الدال فيهما، ومعناه الدلالة والإرشاد).

وأخرج البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «إنَّ أحسنَ الحديثِ كِتَابُ اللهِ، وأحسنُ الهَدْيِ هَدْيُ محمَّدٍ ﷺ، وشَرُّ الأمُورِ مُحْدَثاتُها، وإنَّ ما تُوعدونَ لآتٍ، وما أنتُم بمعجزين».

قال ابن منظور: فُلَانٌ حَسَنُ الهَدْيِ هُوَ حُسْنُ الْمَذْهَبِ فِي أُموره كُلِّهَا، وأحسن الهدي هدي محمد أَي أَحسَنُ الطريقِ والهِداية وَالطَّرِيقَةِ وَالنَّحْوِ وَالْهَيْئَةِ، هدي رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم.

أيها الإخوة:

هذه هي الخطبة السادسة في سلسلةِ خطب عنوانُها: **(هَدْيُ رسول الله صلى الله عليه وسلم)**.

جاءت السلسلة في شهر ربيع لنكثر من الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولنهتدي بهديه ونتأسى بسنته فننالَ الحظوة بشفاعته صلوات ربي وسلامه عليه.

واعلموا أن الكمال البشري معقود في رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن اهتدى بهديه واستن بسنته وحذى حذوه صلى الله عليه وسلم سار في درب الكمال، وعكسه بعكسه.

تحدثت الخطبة الأولى عن هديه صلى الله عليه وسلم في العبادات الشعائرية، والثانية عن هديه صلى الله عليه وسلم في المعاملات المالية، والثالثة عن هديه صلى الله عليه وسلم في العلاقات الأسرية، والرابعة عن هديه صلى الله عليه وسلم في الشدائد والمحن، والخامسة عن هديه صلى الله عليه وسلم في مخالطة الناس، والسادسة عن هديه صلى الله عليه وسلم في التعليم، والسابعة عن هديه صلى الله عليه وسلم في القضاء بين الناس.

وعنوان خطبة اليوم: **هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدعوة إلى الله.**

أيها الإخوة:

سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها دعوة إلى الله تعالى ودَلالة عليه، وكيف لا تكون وقد أوحى إليه ربه ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (45) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الأحزاب: 45، 46] ﴿يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (1) قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ [المدثر: 1، 2] فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدعوة وما قعد، وعمل وما رقد، واجتهد وما هجد.

وهذه خمسة معالم في هدي النبي صلى الله عليه وسلم في الدعوة إلى الله:

أولا: كان صلى الله عليه وسلم حريصاً على دعوة الناس جميعاً:

فيدعو رسول الله صلى الله عليه وسلم القريب والغريب الكبير والصغير الرجل والمرأة.

ألم تنظروا إليه يدعو عمه أبا طالب ويدعو الغلام اليهودي المريض! يدعو لأقسى رجلين وأشرسهما في مكة على المسلمين (اللَّهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك: أبو جهل بن هشام، أو عمر بن

الخطاب) ويدعو الملوك والأمراء (أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم.. وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين)، يدعو القبائل في موسم الحج. ويدعو سيدنا الحسن الطفل الصغير ويعلمه دعاء القنوت.

وهكذا فرسول الله صلى الله عليه وسلم كان حريصاً على دعوة الجميع.

ثانياً: كان صلى الله عليه وسلم حريصاً على الدعوة في الأوقات جميعها:

في العسر واليسر، في الراحة والتعب، في الحزن والسرور، في الشد ة والرخاء.

هل أتاك حديث خطبته بالناس لما مات ولده إبراهيم وكسفت الشمس فقالوا إن الشمس كسفت لموت إبراهيم، فقام فيهم خطيباً متحاملاً على أساه وحزنه: «**إن الشمسَ والقمرَ لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، ولكنهما آيتان من آيات الله يُريهما عبادَه، فإذا رأيتُم ذلك فافزَعُوا إلى الصلاة**» [أبو داود].

وهل أتاك نبأ دعوته إلى الله في آخر كلماته وآخر لحظات الحياة، «**الصلاةَ، الصلاةَ، اتَّقوا اللهَ فيما ملكتْ أيمانُكم**» [أبو داود].

وهل تذكر دعوته لسراقة عندما لحق به يريد قتله يوم الهجرة، وهل تذكر دعوته لعداس في رحلة الطائف وهو جريح دامي القدمين!.

فرسول الله صلى الله عليه وسلم كان حريصاً على الدعوة إلى الله تعالى في الأوقات كلها.

ثالثاً: كان صلى الله عليه وسلم رحيماً بالناس في دعوته:

وصفه ربه فقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107] ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: 128].

ألم تر رحمته بأهل الطائف حين آذوه وجاءه ملك الجبال ليطبق عليهم الأخشبين، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «**بل أرجو أن يُخرِجَ الله من أصلابهم مَنْ يَعبد الله وحده لا يُشْرِكُ به شيئاً**» [البخاري].

ألم تر رحمته بالرجل الذي بال في المسجد فهَمَّ به أصحابُه فقال لهم صلى الله عليه وسلم: «**لا تُزْرِمُوه، دَعُوه**» [البخاري].

ألم تر رحمته بالطفل الصغير وأمه حين خفف الصلاة، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الغداة، وسمع بكاء صبي فخفف الصلاة فقيل: يا رسول الله، خففت هذه الصلاة اليوم، فقال: «**إني سمعت بكاء صبي، فخشيت أن يفتن أمه**» [البخاري].

ألم تر رحمته بالحبر زيد بن سعنة عندما طالبه بسداد الدين وأغلظ عليه.

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رحيماً رؤوفاً بمن يدعوهم إلى الله فيدعوهم بالحكمة والموعظة الحسنة ويجادلهم بالتي هي أحسن.

رابعاً: كان صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الله على بصيرة:

فقد قال الله تعالى له: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: 108] قال المفسرون: "على بصيرة": على يقين لا مرية فيه أو على بينة لا شك فيه.

فإن كان اليقين: فاذكروا قوله صلى الله عليه وسلم في أول أمره عندما عرضت عليه رجالات قريش المال والنساء والجاه وعندما حذروه وهددوه وأنذروه: (يا عم، والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله، أو أهلك فيه ما تركته).

وقولَه يوم الخندق «**أعطيت مفاتيح الشام، والله إني لأنظر قصورها الحمر الساعة، أعطيت فارس، والله إني لأبصر قصر المدائن الأبيض الآن، أعطيت مفاتيح اليمن، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني**» [مسند أحمد].

وإن كانت البينة: فاذكروا حديث الشاب الذي جاء يستأذنه في الزنا فأقبل القوم يزجرونه فأدناه النبي صلى الله عليه وسلم منه وقال: أتحبه لأمك؟ أتحبه لابنتك؟ لأختك؟ لعمتك؟ لخالتك؟ كل ذلك والشاب يقول لا، ويقول له النبي صلى الله عليه وسلم: وكذلك الناس لا يحبونه، ثم عا رسول الله صلى الله عليه وسلم للشاب بعد أن بين له: اللَّهمّ اغفر ذنبه وطهر قلبه، وحصن فرجه، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء.

وأخرج الشيخان عن أم المؤمنين صفية رضي الله عنها قالت: كان النبيُّ صلى الله عليه وسلم معتكفًا، فأتيتُه أزُورُه لَيلاً، فحدَّثتُهُ ثم قُمْتُ لأعود للبيت، فقام معي، فمرَّ رجلان من الأنصار، فلمَّا رأيا النبي صلى الله عليه وسلم أسرعا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**على رِسْلِكُما، إنَّها صفيةُ بنتُ حُيَيّ**» فقالا: سُبْحان الله، فقال: «**إنَّ الشيطان يجري من ابن آدم مَجْرَى الدمِ، وإني خشيتُ أن يَقْذِفَ في قلوبكما شرًّا**» فهذا بيان يقطع به صلى الله عليه وسلم شكاً ربما يقع في القلب، لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو إلى الله على بصيرة، على يقين لا مرية فيه وعلى بيان لاشك فيه.

خامساً: كان صلى الله عليه وسلم ينوع في أساليب دعوته:

فيضرب الأمثلة حيناً ويلقي سؤالاً حيناً آخر ويسرد قصة مرة ثالثة ويرسم على التراب رابعة ويأمر وينهى خامسة.

يدعو بالقول حيناً وبالعمل حيناً آخر، ويدعو بالترغيب حيناً وبالترهيب حيناً آخر، ويدعو الجميع حينا والأفراد حيناً آخر، وهكذا ينوع صلى الله عليه وسلم أساليب دعوته ليجذب القلوب ويلفت الانتباه ويشد المستمع لكلامه ودعوته.

وبعد أيها الإخوة:

هذه خمسة معالم في هدي النبي صلى الله عليه وسلم في الدعوة إلى الله:

أولا: كان صلى الله عليه وسلم حريصاً على دعوة الناس جميعاً.

ثانياً: كان صلى الله عليه وسلم حريصاً على الدعوة في الأوقات جميعها.

ثالثاً: كان صلى الله عليه وسلم رحيماً بالناس في دعوته.

رابعاً: كان صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الله على بصيرة.

خامساً: كان صلى الله عليه وسلم ينوع في أساليب دعوته.

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: 56].

والحمد لله رب العالمين